

البيجر

العملية التي لم تكتمل

دراسة أمنية في هندسة الاختراق واضطرار التوقيت وانقلاب العلية بين الأداة والحرب



للدراسات والبحوث الجيوسياسية
For Geopolitical Studies And Research

جميع الحقوق محفوظة 2026 ©

البيجر: العملية التي لم تكتمل

دراسة أمنية في هندسة الاختراق، واضطرار التوقيت، وانقلاب العلية بين الأداة والحرب

تصنيف الوثيقة: للنشر. تاريخ الإعداد: أيلول 2026. تستند إلى المصادر المفتوحة المتاحة حتى تاريخ الإعداد، ويُعاد النظر في أحكامها إذا فُتحت الأرشيفات الرسمية أو ظهرت شهادات جديدة من داخل الأطراف.

الملخص التنفيذي

مثّلت عملية تفجير أجهزة النداء ("البيجر") والاتصال اللاسلكي في لبنان يومي 17 و18 أيلول 2024 واحدة من أعقد عمليات الاختراق الاستخباري في التاريخ الحديث. فهي لم تقم على اختراق شبكة اتصال قائمة، بل على بناء قدرة كامنة داخل سلسلة توريد حزب الله نفسها ثم دفعه إلى توزيعها على كوادره بقرار منه.

تنطلق الدراسة من مفارقة وظيفية سابقة على كلّ تسريب: القدرة التي يستغرق بناؤها عقدًا، ولا تُستعمل إلا مرة واحدة لا تُستهلك في لحظة يكون عائدها فيها أدنى من كلفتها. وقد أصابت العملية في أيلول 2024 الصفّ الخلفي للحزب في معظمه، وأحرقت معها قناة تنصّت عمرها نحو تسع سنوات، ومنحت الخصم أيامًا لامتناص الصدمة. هذا العائد لا يتناسب مع الاستثمار، وحين لا يتناسب عند فاعل أثبت في كلّ مراحل الإعداد أنه يحسب بدقة، فالأرجح أن الحساب فُرض عليه من خارجه.

وتخلص الدراسة إلى حكمين متدرّجين:

• **الحكم الأول (مرجح جدًا، بثقة عالية):** لم يكن توقيت التفجير اختياريًا حرًا، بل فرضه اقتراب الحزب من كشف الأجهزة. وتقوم الثقة العالية على تقاطع روايات مستقلة في مصادرها ومتعارضة في مواقعها: مسؤولون أميركيون، ومسؤولون إسرائيليون، وعميلان سابقان في الموساد، ورواية لبنانية من داخل بيئة الحزب.

• **الحكم الثاني (مرجح، بثقة متوسطة):** لم يأت التفجير داخل قرار مسبق بالحرب، بل هو الذي دفع إليها. فالقرار السياشي بالتصعيد وُلد من داخل أزمة الأداة المهددة ثم أعيد تقديم التفجير المفروض بوصفه بداية مقصودة لحملة متدرّجة. وهذا ما تسمّيه الدراسة "انقلاب العلية": أي أن ما قُدّم سببًا للتفجير (قرار التصعيد) كان في الأرجح نتيجة له.

لقد اكتملت العملية هندسيًا، ونجحت استخباريًا وتكتيكيًا، وأحدثت أثرًا بشريًا وتنظيميًا ونفسيًا بالغًا. لكنها خرجت من كمونها قبل اتصالها باللحظة العسكرية التي بُنيت لها: لحظة المعركة التي يحتاج فيها الخصم إلى الاتصال أكثر من أي وقت آخر. ولو استُعملت عند بدء الهجوم، لكان الفارق نوعيًا لا كميًا: من جرح في جسد التنظيم إلى شلل في جسد المعركة.

وتتناول الدراسة كذلك ما غاب عن معظم القراءات العملية: الأثر المدني والوضع القانوني الدولي للوسيلة المستخدمة، والبعد السيادي اللبناني لعملية جعلت الأراضي والفضاء المدني اللبنانيين ميدانًا لسلاح ممّوه.

مقدمة: حين ينجح التنفيذ ولا تكتمل العملية

في السابع عشر من أيلول 2024، عند الثالثة والنصف بعد الظهر، تلقت آلاف أجهزة النداء التي يستعملها عناصر وكوادر وموظفون في حزب الله رسالة تفيد بوصول رسالة مشفرة ثم انفجرت. وفي

اليوم التالي انفجرت دفعة من أجهزة الاتصال اللاسلكي، بعضها في مجالس تشييع ضحايا اليوم الأول. امتدّت الانفجارات إلى الضاحية الجنوبية لبيروت والجنوب والبقاع، وأعلن وزير الصحة اللبناني في 19 أيلول أن حصيلة اليومين بلغت 37 قتيلًا و2931 جريحًا¹، قبل أن ترتفع لاحقًا إلى 39 قتيلًا وأكثر من 3400 جريح². وتتفاوت الحصائل المتداولة بحسب تاريخ الإحصاء ومصدره، وتعتمد الدراسة الأرقام النهائية التي أوردتها رويترز أساسًا، وثُبتت غيرها في مواضعها³.

لم يكن الحدث اختراقًا إلكترونيًا بالمعنى المألوف، ولا تفجيرًا تقليديًا نُقلت فيه عبوات إلى أهداف متنقاة. كان اختراقًا مركّبًا لسلسلة التوريد، حُوّلت من خلاله أدوات الاتصال نفسها إلى أسلحة محمولة. ثم أوصلت إلى الجهة المستهدفة ودُفعت إلى توزيعها على أفرادها بقرار منها.

ولهذا يصعب الاعتراض على وصف العملية بأنها من أعقد العمليات الاستخبارية في العصر الحديث. غير أن الإقرار بتعقيدها لا يحسم سؤال اكتمالها. فالعملية الاستخبارية لا تُقاس بقدرتها على الوصول إلى الهدف أو إيقاع الخسائر فحسب، بل بمدى تحقيقها الغاية التي بُنيت من أجلها، في اللحظة التي تجعل أثرها جزءًا من نتيجة عسكرية أوسع.

تميّز الدراسة بين ثلاثة مستويات: نجاح الاختراق، ونجاح التفجير، واكتمال العملية. نجح الاختراق لأن الأجهزة وصلت إلى بنية الحزب وتوزّعت بين عناصره من دون أن تُكتشف مكوّناتها. ونجح التفجير لأن عددًا كبيرًا منها استجاب للتفعيل وأحدث صدمة أمنية وتنظيمية. أما اكتمال العملية فيطرح سؤالًا مختلفًا: هل جرى التفجير في الساعة التي صُمّم لها، أم فُرض توقّيته بعدما صار الاختراق مهددًا بالكشف؟ وإذا فُرض، فما الذي ترتّب على هذا الفرض في مسار الحرب نفسه؟

لا تصف الدراسة عملية البيجر بأنها "العملية التي لم تكتمل" إنكارًا لنجاحها، بل لأن نجاحها نفسه يكشف مقدار ما بقي خارج التنفيذ. لقد اكتملت الأداة، لكن المشهد الذي كان يُفترض أن تعمل داخله لم يكن قد اكتمل.

أولاً: الإشكالية والقاعدة الوظيفية والفرضيات المتنافسة

1. القاعدة الوظيفية: القدرة أحادية الاستعمال تُقاس بلحظتها

تفترض العمليات الاستخبارية المركّبة التي تُبنى على مدى سنوات غاية تتجاوز الأثر الفوري للأداة. فالجهة التي تُنشئ واجهات تجارية، وتخرق مسار المشتريات، وتصمّم أجهزة خاصة، وتُخفي فيها متفجرات ثم تتركها موزّعة داخل بنية خصمها لا تفعل ذلك للحصول على قدرة تفجير عشوائية التوقيت. إنها تؤسّس لقدرة احتياطية تُحفظ إلى أن تتطابق لحظة استعمالها مع ظرف عسكري يمنحها أعلى قيمة ممكنة.

وتصوغ الدراسة من ذلك قاعدة منهجية: القدرة أحادية الاستعمال تُقاس بلحظة استعمالها لا بحجم أثرها. فالأثر يمكن الحصول على قدر منه بأدوات أقلّ كلفة: الغارة، والاعتقال الموجه، والضربة الصاروخية. أما ما لا تستطيع هذه الأدوات، فهو أن تشلّ في لحظة واحدة منظومة الاتصال والقيادة والسيطرة والإسعاف لدى خصم يستعدّ لصدّ هجوم. هذه هي القيمة التي لا تنتجها إلا الأداة المزروعة، وهي لا تتحقّق إلا في لحظة المعركة.

¹ حصيلة وزير الصحة اللبناني فراس الأبيض، 19 أيلول 2024، ورسالة البعثة اللبنانية الدائمة إلى مجلس الأمن، كما نقلتهما وكالة فرانس برس (عبر سويس إنفو، 19 أيلول 2024).

² المصدر نفسه (Reuters, 16 October 2024)، وفيه الحصيلة النهائية: 39 قتيلًا وأكثر من 3400 جريح.

³ تتفاوت الحصائل لاختلاف تاريخ الإحصاء ومصدره: وزارة الصحة اللبنانية في 19 أيلول (37 قتيلًا و2931 جريحًا)، وخبراء الأمم المتحدة في اليوم نفسه (32 قتيلًا و3250 مصابًا)، ورويترز بعد استقرار الأرقام (39 قتيلًا وأكثر من 3400 جريح).

"ساعة الصفر" بهذا المعنى ليست موعدًا جامدًا حُدّد منذ بدء الإعداد، بل مجموعة شروط: بدء حرب شاملة، أو انتقال القوات إلى الهجوم، أو استنفار وحدات الخصم، أو بلوغ انتشار الأجهزة ذروته، أو حاجة منظومته إلى الاتصال بأقصى درجة. عندما تتحقّق هذه الشروط تُفَعَّل القدرة لتصبح جزءًا من افتتاح المعركة لا حادثة منفصلة عنها.

2. مفارقة الكلفة والعائد

تتجلّى المفارقة حين يوضع ما أنفق في كلفة وما حُصِد في أخرى. في كلفة الكلفة: عقد من الإعداد، ومسار لاسلكي بلغ نحو 15 ألف جهاز، ومسار يبجر كامل بشركاته وواجهاته وذاكرته التجارية المصطنعة، وقناة تنصّت على اتصالات الحزب عمرها نحو تسع سنوات. وفي كلفة العائد: إصابات أغلبها في الصفّ الخلفي للتنظيم، وصدمة أتيح للخصم أن يبدأ امتصاصها قبل أن تبدأ الحرب.

المعادلة لا تستقيم. والسؤال الذي تطرحه الدراسة ليس: لماذا نجحت العملية؟ بل: لماذا استُعملت في لحظة لا تستقيم فيها معادلتها؟

3. الإشكالية

"هل مثل تفجير أجهزة البيجر واللاسلكي ساعة الصفر الأصلية لعملية متكاملة، أم كان تفعيلًا اضطراريًا لقدرة سرّية مهدّدة بالكشف؟ وإذا كان اضطراريًا، فهل جاء داخل قرار مسبق بالحرب، أم كان هو ما دفع إلى الحرب ثم أعيد تقديمه بدايةً مقصودة لها؟"

4. الفرضيات المتنافسة

تختبر الدراسة ثلاث فرضيات، وتعامل كلّ دليل بقدرته على نفي فرضية لا بقدرته على تأييد الفرضية المفضّلة فقط:

- **الفرضية الأولى (الافتتاح المقصود):** كان التفجير البداية المختارة لحملة متدرّجة خُطّط لها مسبقًا، والفاصل الزمني بعده جزء من التدرّج.
- **الفرضية الثانية (الاضطرار داخل قرار حرب قائم):** كان القرار السياشي بالحرب قد اتُخذ باستقلال عن الأداة، وجاء خطر الكشف ليقدم موعد التفجير داخل هذا القرار.
- **الفرضية الثالثة (الاضطرار الذي صنع الحرب):** فرض خطر الكشف التفجير قبل أن يكون قرار الحرب قد نضج، فصار التفجير هو المحرّك الذي حوّل ضغوط التصعيد الكامنة إلى قرار ثم أعيد سرده بوصفه بداية مقصودة.

ثانيًا: المنهج وتقييم المصادر

تعتمد الدراسة منهج التحليل الوظيفي العملياتي الاستعادي. فهي لا تنطلق من نيّات الفاعل كما يعلنها، ولا من التسريبات بوصفها حقائق نهائية، بل من ثلاثة مداخل: الوظيفة التي تؤدّيها الأداة، وظروف إنتاج قرار استعمالها، والقواعد التي يفرضها بناء العملية ذاتها (السريّة، والكمون، والمفاجأة، والتزامن، واستثمار نافذة الشلل، والاقتصاد في كشف القدرة، ومنع التعافي).

وتفصل الدراسة بين موثوقية المصدر (موقعه من الحدث وسجلّه ومصلحته) ومصادقية المعلومة (اتّساقها وتأكيداتها من مصادر مستقلة). وتقسّم المادة إلى ثلاث درجات:

- **الثابت:** ما أكّده الوقائع المباشرة أو تقاطعت عليه مصادر مستقلة، كتاريخ التفجير وحصيلته، وقرار المجلس الوزاري الإسرائيلي في 16 أيلول، واعتراف نتنياهو اللاحق بالمسؤولية.

- **المرجح:** ما أيّدته روايات متعدّدة وانسجم مع التسلسل والمنطق العمليّاتي، كاكشاف إسرائيل نقل عيّنة إلى إيران، وصيغة "استخدمها أو اخسرها"، وعدد الأجهزة الموزّعة.
- **غير المحسوم:** ما تنفرد به رواية واحدة أو تتعارض فيه المصادر، كعدد الأجهزة الباقية في الطريق، ونسبة أجهزة اللاسلكي المخزّنة عند تفجيرها.

وتستند الدراسة إلى أربع دوائر من المصادر. الأولى تحقيقات صحفية كبرى استندت إلى مسؤولين مجهولي الهوية: نيويورك تايمز، وواشنطن بوست، ورويترز، وأكسيوس، والمونيتور. والثانية شهادات من داخل الجهة المنقّدة: عميلان سابقان في الموساد لبرنامج "60 دقيقة"، ووزير الدفاع الإسرائيلي السابق يوآف غالانت، واعتراف رئيسي الحكومة. والثالثة مصادر من داخل البيئة المستهدفة: خطاب الأمين العام للحزب في 19 أيلول، ومصدر لبناني تحدّث إلى رويترز، ووثائقي "المصيدة" الذي أنتجته الجزيرة 360. والرابعة وثائق رسمية دولية ولبنانية: بيان خبراء الأمم المتحدة، ومداخلة المفوض السامي لحقوق الإنسان أمام مجلس الأمن، ورسالة البعثة اللبنانية إلى المجلس.

ولكلّ دائرة حدودها. فالمسؤولون الإسرائيليون المجهولون قد يخدمون سرديّة مؤسّسة بعينها، وشهادة غالانت محكومة بخلافه العلني مع نتيها هو بعد إقالته، واعتراف نتيها هو نفسه جزء من معركة داخلية على نسبة الإنجاز. في المقابل، يملك الطرف المستهدف مصلحة في التهووين من حجم الاختراق، ولذلك فإن ما يُقرّ به يكتسب وزنًا خاصًا. وتبني الدراسة أحكامها على ما تتقاطع عليه هذه الدوائر لا على ما تنفرد به إحداها.

وتلتزم الدراسة في التوثيق قاعدةً واحدة: الإحالة إلى المصدر الأمّ لا إلى ناقله. فحين يكون الأصل متاحًا (نيويورك تايمز، وواشنطن بوست، ورويترز، وأكسيوس، والمونيتور، وبيانات المفوضية السامية) يُحال إليه مباشرة. وحين يكون محجوبًا خلف اشتراك أو منشورًا بالعبرية ولم يتيسّر الاطلاع على نصّه الأصلي (مقابلة غالانت مع ידיעות أحرونوت، وتقرير وول ستريت جورنال) يُصرّح في الحاشية بأن الإحالة جاءت عبر ناقل، ويُسمّى الناقل.

ثالثًا: هندسة الاختراق

لا تبدأ عملية البيجر في 17 أيلول، بل تنتهي مرحلتها السريّة في ذلك اليوم. أما العملية الفعلية فتكوّنت من دراسة حاجة الحزب إلى الاتصال، واختراق التوريد، وصناعة الجهاز، وإدارة البيع، واجتياز الفحص ثم انتظار قرار التفعيل. والنظر إلى التفجير وحده يجعل الحدث يبدو هجومًا بأجهزة مفخّخة، بينما تكشف المراحل السابقة أنه كان استحوادًا غير مرئيّ على جزء من البنية اللوجستية للخصم.

1. إنتاج الحاجة واختطاف الحلّ

حدّر حسن نصرالله عناصر الحزب من الهواتف المحمولة منذ عام 2020 خشية المراقبة الإسرائيلية، وفي شباط 2024 قرّر الحزب الانتقال إلى وسائل "منخفضة التقنية" تفاديًا للرصد⁴. من حيث الظاهر كان القرار مفهومًا: البيجر أبسط من الهاتف الذكي، ولا يحمل تطبيقاته وأجهزة استشعاره واتصالاته الدائمة.

لكن أمن الوسيلة لا يتحدّد ببساطتها التقنية، بل بالجهة التي صنعتها، والطريق الذي سلكته، ومن امتلك القدرة على تعديلها قبل وصولها. لم تحتج إسرائيل إلى فرض تكنولوجيا غريبة عن حاجة

⁴Lieber Institute, West Point, "'Well, It Depends': The Explosive Pagers Attack Revisited," 11 March 2025.

الحزب، بل كان عليها أن تقدّم جهازًا يجيب عن حاجة حقيقية نشأت داخل منظومته الأمنية. وكلّما ازداد اقتناع الحزب بأن الهواتف مخترقة، ارتفع احتمال انتقاله إلى البديل.

هذه قاعدة أساسية في الخداع: أنجح الطُعم ليست التي تخلق حاجة مصطنعة، بل التي تدخل من باب حاجة فعلية ثم تستحوذ على طريقة تلبيتها. اعتقد الحزب أنه يستعيد سيطرته على الاتصال، بينما كان ينقل ثقته من شبكة يمكن مراقبتها إلى جهاز مخترق في بنيته المادية.

2. الاستيلاء على علاقة التوريد

يروى وثائقي "المصيدة" أن الطلب على أجهزة النداء عاد بعد توقّف المراسلات خلال جائحة كورونا عام 2022، فعرضت مسؤولة المبيعات "تيريزا وو" الطراز AR-924 بحجّة أن الطراز السابق توقّف إنتاجه وأن الشحنة الجديدة جاهزة في هونغ كونغ. وفي آذار 2023 وصلت خمسمئة وحدة إلى لبنان عبر تركيا ومطار بيروت، كلّها من الطراز الجديد الذي لم يطلبه الحزب⁵. وتذكر الرواية نفسها، كما نقلتها الصيغة الأولى لهذه الدراسة، أن علاقة الحزب بالشركة التايوانية تعود إلى عام 2001، وأن حسابه انتقل عام 2018 إلى الموظفة ذاتها (درجة التفصيل الأخير: غير محسوم).

ويؤكد عميلا الموساد السابقان هذا المسار من الجهة المقابلة: فقد استعان الجهاز بمسؤول المبيعات التي اعتاد الحزب التعامل معها، فعرضت عليه الدفعة الأولى ترقيةً مجانيةً⁶. هنا يتقاطع مصدران متعارضان الموقع على واقعة واحدة، فترتفع إلى مرتبة المرجح.

لم تعتمد الخديعة إذن على إقناع الحزب بمنتج مجهول، بل على إدارة البديل داخل علاقة قائمة. بدا قبول الجهاز استمرارًا لمسار الشراء لا انتقالًا إلى مورد غير معروف. وهذا أعقد من إنشاء شركة وهمية تباع منتجًا لمشتري جديد، لأن العلاقة القديمة تمنح الجهاز الجديد إرثًا من الثقة لا تستطيع الواجهة المستحدثة إنتاجه بسرعة.

وفي الوقت نفسه حملت الأجهزة اسم علامة تايوانية معروفة، بينما قالت الشركة بعد التفجيرات إنها لم تصنع النموذج، وإن شركة BAC المسجّلة في المجر كانت مرخّصة لاستعمال علامتها⁷. وظهرت أسماء شركات ومسارات في بلغاريا والنرويج وهونغ كونغ، واختفى مالك إحدى الشركات البلغارية المرتبطة بالتوريد يوم التفجير⁸، وأغلقت تايوان تحقيقها لاحقًا مؤكّدة عدم تورّط أي من مواطنيها أو شركاتها⁹. لم يكن غموض المنشأ خللاً، بل جزءًا من الحماية: ففي سلاسل التوريد الدولية تنفصل العلامة عن المصنع، والمرخّص عن المنتج، والبائع عن جهة الشحن، واستُعملت هذه الفجوات لكي لا توجد نقطة واحدة تكشف الصلة بالجهة المنقّذة.

⁵ الجزيرة نت، "مهندس أربك إسرائيل.. وثائقي يكشف خفايا مجزرة بيجر حزب الله"، 17 أيلول 2026، عن وثائقي "المصيدة" (الجزيرة 360). التفاصيل غير الواردة في هذا المصدر منقولة عن الصيغة الأولى للدراسة ولم يُتحقّق منها مستقلاً.

⁶ Lesley Stahl, "Inside Israel's Plot to Deliver Explosive Pagers to Hezbollah," 60 Minutes, CBS News, 22 December 2024.

⁷ بيان مؤسس شركة غولد أبولو هسو تشينغ كوانغ، 18 أيلول 2024، كما نقلته وكالات الأنباء (VOA News, 19 September 2024)؛ وتحقيق السلطات البلغارية في شركة نورتا غلوبال (Reuters, 19 September 2024). ولم يُتحقّق من النصّ الأصلي لبيان السلطات المجرية.

⁸ بيان مؤسس شركة غولد أبولو هسو تشينغ كوانغ، 18 أيلول 2024، كما نقلته وكالات الأنباء (VOA News, 19 September 2024)؛ وتحقيق السلطات البلغارية في شركة نورتا غلوبال (Reuters, 19 September 2024). ولم يُتحقّق من النصّ الأصلي لبيان السلطات المجرية.

⁹ The New Arab, "Netanyahu Admits Ordering Lebanon Pager Attack as Taiwan Denies Involvement," 11 November 2024 (إغلاق التحقيق التايواني).

وتتعارض المصادر في تواريخ التسليم. فالوثائقى يتحدث عن خمسمئة وحدة في آذار 2023، ونيويورك تايمز عن بدء الوصول في خريف 2023¹⁰، ورويترز عن وصول الأجهزة المفخخة مع مطلع 2024 وفحصها عند الاستلام في شباط¹¹، بينما تعيد واشنطن بوست بدء التصنيع إلى 2022¹². والأرجح أن التسليم جرى على دفعات متتالية، صغيرة في أولها كبيرة في آخرها مطلع 2024. ولا يمس هذا الخلاف أطروحة الدراسة، لأن ما يعينها أن الانتشار بلغ ذروته في الأشهر السابقة للتفجير مباشرة، وهو ما تتفق عليه المصادر كلها.

3. صناعة الماضي: الذاكرة التجارية المصطنعة

كانت نقطة الضعف في المنتج أنه جديد وضخم نسبياً بلا تاريخ في السوق. وتكشف مراجعة رويترز لأرشيفات الإنترنت أن الجهة المنفذة عالجت ذلك بصناعة متاجر وصفحات ومنشورات إلكترونية تستطيع خداع إجراءات التدقيق لدى الحزب، وأن صفحات تعرض الجهاز وبطاريته أضيفت في أيلول 2023 إلى موقع يقدم نفسه موزعاً مرخّصاً، بعنوان في هونغ كونغ لا توجد فيه شركة بهذا الاسم¹³. وقال ضابط استخبارات إسرائيلي سابق لرويترز إن للحزب إجراءات جديّة للتحقق من مشترياته، وإن المطلوب أنه "إذا بحثوا، يجدون شيئاً"¹⁴.

لم تُصنع القطعة المادية وحدها إذن، بل صُنِعَ معها ماضٍ يمكن التحقق منه. وهذا ما ينقل العملية من خانة التفخيخ إلى خانة الهندسة الكاملة للثقة.

4. اختراق قرار الشراء

لا يكتمل اختراق سلسلة التوريد بوضع جهاز مفخّخ في السوق، فقد يختار المشتري نموذجاً آخر. لذلك استهدفت العملية قرار الشراء نفسه: ثقة بالمورد، وحاجة تقنية، وسعر أو عرض مجّاني، ومزايا معلنة للبديل (بطارية طويلة العمر قابلة للشحن، ومتانة، وتشفير الرسائل).

لا يتطلب ذلك بالضرورة عميلاً داخل جهاز المشتريات. يمكن هندسة البيئة التي يُتخذ فيها القرار بحيث يختار المسؤول النتيجة المطلوبة وهو يعتقد أنه يمارس تقديره المهني. لم تصل الأجهزة رغم إجراءات الشراء، بل من خلالها: تحوّلت عناصر الحماية (السعر، والمواصفات، والعلامة، واستمرارية المورد) إلى أدوات توجيه.

5. مساران داخل المصيدة

عمل الاختراق عبر مسارين. بدأ الأول قبل الثاني بسنوات: أفادت واشنطن بوست بأن الموساد بدأ منذ عام 2015 إدخال أجهزة لاسلكي مفخخة إلى لبنان، يحمل كل منها إلى جانب المتفجّر المخفي نظام إرسال يمنح إسرائيل وصولاً كاملاً إلى اتصالات الحزب، وأن الإسرائيليين اكتفوا

¹⁰Ronen Bergman et al., "Behind the Dismantling of Hezbollah: Decades of Israeli Intelligence," The New York Times, 29 December 2024, <https://www.nytimes.com/2024/12/29/world/middleeast/israel-hezbollah-nasrallah-assassination-intelligence.html>.

¹¹Maya Gebeily, James Pearson and David Gauthier-Villars, "Exclusive: How Israel's Bulky Pager Fooled Hezbollah," Reuters, 16 October 2024.

¹²"Mossad's Pager Operation: Inside Israel's Penetration of Hezbollah," The Washington Post, 5 October 2024, <https://www.washingtonpost.com/world/2024/10/05/israel-mossad-hezbollah-pagers-nasrallah/>.

¹³Maya Gebeily, James Pearson and David Gauthier-Villars, "Exclusive: How Israel's Bulky Pager Fooled Hezbollah," Reuters, 16 October 2024.

¹⁴Maya Gebeily, James Pearson and David Gauthier-Villars, "Exclusive: How Israel's Bulky Pager Fooled Hezbollah," Reuters, 16 October 2024.

سنوات بالتنصت ثم طوّروا في 2023 جهاز نداء صغيراً يصعب كشف متفجّره¹⁵. وتقدر نيويورك تايمز ما اشتراه الحزب من هذه الأجهزة بنحو 15 ألف جهاز منذ 2015¹⁶. وبين هذا الرقم وما انفجر فعلاً من أجهزة اللاسلكي (نحو 800 جهاز بحسب الوثائقي) فجوة هائلة. وأياً يكن تفسيرها، سواء أدخل جزء كبير منها بلا بطاريات أم بقي مخزّناً أم خرج من الخدمة، فإنها تدلّ على أن مسار اللاسلكي لم يكن قد بلغ جاهزيته القصوى يوم التفجير. وهذه قرينة إضافية على أن الأداة استُعملت قبل اكتمال شروطها لا خطأ في الأرقام. وبحسب أحد عميلي الموساد، بدأ تطوير المرحلة الثانية (البيجر) عام 2022 بعد رصد أن الحزب يشتري أجهزة النداء من الشركة التايوانية¹⁷.

يكشف هذا التطور الغاية. اللاسلكي أداة تعبئة وعمل ميداني، ووجوده مع المستخدم مرتبط بظروف التشغيل. أما البيجر فجهاز خفيف ملاصق للجسد يُحمل في الحياة اليومية، فيوسّع زمن التعرّض وعدد الحاملين. وقد صُممت رسالة التفعيل بحيث تطلب ضغط زرّين لقراءة "رسالة مشفرة"، ما يجعل حاملي الأجهزة يمسونها بكلتا اليدين لحظة الانفجار¹⁸.

6. الفحص الذي اقترب من قلب الجهاز

لا تقول المعطيات إن الحزب لم يفحص الأجهزة، بل إن نموذج الفحص لم يصل إلى موضع الخطر في الوقت المناسب. فبحسب رويترز، صُممت البطارية بحيث تُخفي شحنة متفجّرة وصاعقاً لا تكشفه الأشعة السينية¹⁹. ويروي وثائقي "المصيدة" أن الاختبارات الأولية التي أجراها المهندس حسين بزي، المعروف باسم "جيريل"، لم تكشف ما يدعو إلى الإنذار ثم كشف الاستخدام الميداني مشكلات في الاستقبال واستنزافاً للبطارية²⁰. ويؤكد مصدر لبناني لروترز أن الحزب لاحظ في مرحلة ما أن البطارية تستنزف أسرع من المتوقع، لكن المسألة لم تُثر على ما يبدو قلقاً أمنياً كبيراً، إذ ظلّ يوزّع الأجهزة حتى الساعات السابقة للهجوم²¹.

وتفيد الصيغة الأولى لهذه الدراسة، نقلاً عن الوثائقي، أن بزي لاحظ دائرة غريبة وغياب مخططات الصيانة، لكنه لم يفتح البطارية المصممة لخطورة التعامل معها. وبذلك اقترب الفحص من البنية المزروعة من دون أن يكشفها.

يكشف ذلك قصوراً جوهرياً في نموذج الحماية: كانت الإجراءات تبحث عن التلاعب داخل جهاز يُفترض أن أصله سليم. لكن حين يُصمّم الجهاز أو أحد مكوناته من أساسه حول الغرض الخفي، يصبح التمييز بين الطبيعي والخبيث أصعب بكثير. هناك فارق بين تفتيش المنتج والتحقّق من أصله. يمكن إخضاع الجهاز لاختبارات متعدّدة من دون كشف الخطر إذا صُمّم لاجتيازها، أما

¹⁵ "Mossad's Pager Operation: Inside Israel's Penetration of Hezbollah," The Washington Post, 5 October 2024, <https://www.washingtonpost.com/world/2024/10/05/israel-mossad-hezbollah-pagers-nasrallah/>.

¹⁶ Ronen Bergman et al., "Behind the Dismantling of Hezbollah: Decades of Israeli Intelligence," The New York Times, 29 December 2024, <https://www.nytimes.com/2024/12/29/world/middleeast/israel-hezbollah-nasrallah-assassination-intelligence.html>.

¹⁷ Lesley Stahl, "Inside Israel's Plot to Deliver Explosive Pagers to Hezbollah," 60 Minutes, CBS News, 22 December 2024.

¹⁸ المصدر نفسه (The Washington Post, 5 October 2024).

¹⁹ Maya Gebeily, James Pearson and David Gauthier-Villars, "Exclusive: How Israel's Bulky Pager Fooled Hezbollah," Reuters, 16 October 2024.

²⁰ الجزيرة نت، "مهندس أريك إسرائيل.. وثائقي يكشف خفايا مجزرة بيجر حزب الله"، 17 أيلول 2026، عن وثائقي "المصيدة" (الجزيرة 360). التفاصيل غير الواردة في هذا المصدر منقولة عن الصيغة الأولى للدراسة ولم يُتحقّق منها مستقلاً.

²¹ Maya Gebeily, James Pearson and David Gauthier-Villars, "Exclusive: How Israel's Bulky Pager Fooled Hezbollah," Reuters, 16 October 2024.

التحقيق من الأصل فيتطلب مقارنة الجهاز بمواصفات مستقلة من المصنع، وتتبع مكوّناته، والتأكد من وجود النموذج في أسواق حقيقية، وإجراء فحوص تدميرية على عيّينات عشوائية. كانت إجراءات الحزب تبحث عمّا أضيف إلى الجهاز، بينما كان ينبغي أن تسأل عمّا إذا كان الجهاز نفسه قد أنتج ليكون الإضافة.

رابعًا: الأداة المحفوظة، من تشرين الأول 2023 إلى أيلول 2024

1. الوظيفة الأصلية: ضربة افتتاحية

أوضح ما في المصادر المتاحة أن الأداة صُمّمت لتكون ضربة الافتتاح في حرب شاملة. فقد نقل موقع أكسيوس عن مسؤول إسرائيلي سابق مطلع على العملية أن أجهزة الاستخبارات خطّطت لاستعمال أجهزة النداء المزروعة ضربة افتتاحية مباغتة في حرب شاملة تستهدف شل الحزب²². ووصف مسؤولون أمنيون إسرائيليون وغربيون العملية لوأشنطن بوسيت بأنها جزء من جهد متقن لاختراق الحزب امتدّ عقدًا كاملاً، تحت عنوان دالّ: "الزرّ الأحمر"²³. والزرّ الأحمر، في لغة التخطيط العسكري، قدرة تُحفظ ليوم الحسم لا تُستهلك في أيام المواجهة العادية.

والأهمّ شهادة غالانت نفسه. فقد كشف في مقابلة مع يديعوت أحرونوت أن قيادة الجيش خطّطت لهجوم وقائي واسع على الحزب في 11 تشرين الأول 2023، كان سيقتضي على ما بين 12 ألفاً و 15 ألف عنصر عبر تفجير أجهزة اتصال مفخّخة، قبل أن يرفضه نتنياهو وإدارة بايدن²⁴. وتتقاطع شهادته مع روايات سابقة لها ومستقلة عنها: فقد أفادت وول ستريت جورنال بأن إسرائيل خطّطت لضربة وقائية في ذلك اليوم وأن تدخل بايدن حال دونها²⁵، وأكد غادي أيزنكوت، عضو مجلس الحرب آنذاك، أن الضربة ألغيت في اللحظة الأخيرة وأنه كان بين معارضيه²⁶.

تحسم هذه الحلقة سؤال الوظيفة: الأداة أُدرجت في خطة الافتتاح نفسها منذ الأيام الأولى للحرب، وحين ألغى الافتتاح احتُفظ بها. وهذا يُسقّط تفسير العملية بأنها استهدفت الإصابات بذاتها.

وتحتاج شهادة غالانت إلى نقد مصدري. فالرجل أُقيل في تشرين الثاني 2024، وله مصلحة سياسية في تحميل نتنياهو مسؤولية "الفرصة الضائعة"، وقد ذهب إلى أن الحزب كان سيزول بوصفه تنظيمًا عسكريًا لو نُفذت العملية يومها²⁷. هذا الحكم التقديري مبالغ فيه على الأرجح، أما الواقعة التي يرونها (إدراج تفجير أجهزة الاتصال في خطة 11 تشرين الأول) فتسندها روايات مستقلة عنه.

²²Barak Ravid, "Israel Conducted Lebanon Pager Attack Fearing Hezbollah Was onto the Operation," Axios, 18 September 2024, <https://www.axios.com/2024/09/18/hezbollah-pager-explosions-israel-suspicions>.

²³"Exploding Pagers Leave Clues to Israeli 'Red Button' Plot, Officials Say," The Washington Post, 21 September 2024 (Portland Press Herald اطلع عليه في النسخة المعاد نشرها لدى).

²⁴مقابلة يوآف غالانت مع يديعوت أحرونوت (بالعبرية)، 2025. النص الأصلي بالعبرية ولم يتيسر الاطلاع عليه، والإحالة عبر ناقل: L'Orient Today, "Gallant Reveals Rejected Plan for Large-Scale

Attack against Hezbollah Right after Oct. 7," 2025.

²⁵The Wall Street Journal, "WSJ: Biden Pressured Netanyahu to Abandon Plans for Preemptive Strike on Hezbollah," December 2023.

²⁶Associated Press, "An Israeli Preemptive Strike against Hezbollah Was Averted Early in Gaza War, Top Official Says," 19 January 2024.

²⁷مقابلة يوآف غالانت مع يديعوت أحرونوت (بالعبرية)، 2025. النص الأصلي بالعبرية ولم يتيسر الاطلاع عليه، والإحالة عبر ناقل: L'Orient Today, "Gallant Reveals Rejected Plan for Large-Scale

Attack against Hezbollah Right after Oct. 7," 2025.

2. قدرة لم تكتمل بعد

تفيد نيويورك تايمز بأن الأجهزة المفخخة لم تكن قد اكتملت في مواقعها عند هجوم 7 تشرين الأول، وأن نتنياهو فضل التركيز على غزة خلافاً لنصيحة مسؤولين منهم غالباً، وأن أجهزة النداء بدأت تصل في خريف 2023²⁸. تحل هذه المعطيات التعارض الظاهري بين الروايات: القدرة الجاهزة في تشرين الأول 2023 كانت مسار اللاسلكي القديم، بينما كان مسار البيجر في بدايته. أي إن الأداة الأشد التصاقاً بأجساد حامليها كانت لا تزال تنتشر.

ومنذ تلك اللحظة صار الانتظار عقلاً من زاويتين: الحرب الشاملة لم يتقرر خوضها، والأداة تزداد قيمة مع كل دفعة جديدة.

3. أحد عشر شهراً من الحرب بلا تفعيل

بقيت الأجهزة موزعة داخل بنية الحزب طوال أحد عشر شهراً من المواجهة المفتوحة، شهدت اغتياكات كبرى وتبادلاً يومياً للنار. لو كان وجود الحرب وحده شرط التفعيل، لكان التفعيل ممكناً في أي يوم منها. فالانتظار الطويل يثبت أن الشرط كان تحولاً نوعياً لم يحدث: حرب شاملة، أو ضربة افتتاحية، أو هجوم بري. ولا يعترض على ذلك بأن الانتشار لم يكن قد اكتمل في أشهر الحرب الأولى، لأن نافذة الاختبار الحقيقية هي ربيع 2024 وصيفه، بعد وصول الدفعات الكبرى وقبل بدء الاشتباه. في تلك النافذة كانت القدرة جاهزة والحرب قائمة، ومع ذلك لم تُستعمل. وإذا وقع التفجير من دون هذا التحول، فلا بد من متغير طارئ كسر خطة الانتظار.

4. الأصل المزدوج: أداة الشل وقناة المعرفة

يزيد مسار اللاسلكي هذه المعادلة حدة. فكل جهاز كان، بحسب واشنطن بوست، قناة تنصت إلى جانب كونه عبوة²⁹. معنى ذلك أن تفجير أجهزة اللاسلكي لم يحرق قدرة تفجير فحسب، بل أحرق قناة جمع استخباري عمرها نحو تسع سنوات. وهذه كلفة لا يتحملها مخطط عقلائي إلا في لحظة الحسم، أو حين يكون الأصل على وشك الضياع في كل الأحوال.

خامساً: الانكشاف ومعضلة الخيارات الثلاثة

1. من الشبهة إلى الإجراء

تتقاطع روايات مستقلة المصدر على أن الحزب كان يقترب من الكشف، وعلى أن إسرائيل كانت تدبر هذا الاقتراب.

أفادت نيويورك تايمز بأن إسرائيل نفذت، في وقت سابق من 2024، غارة بمسيّرة قتلت فتياً في الحزب اشتبه في وجود متفجرات داخل أجهزة اللاسلكي³⁰. ونقل تقرير المونيتور أن عنصراً آخر

²⁸Ronen Bergman et al., "Behind the Dismantling of Hezbollah: Decades of Israeli Intelligence," The New York Times, 29 December 2024, <https://www.nytimes.com/2024/12/29/world/middleeast/israel-hezbollah-nasrallah-assassination-intelligence.html>.

²⁹"Mossad's Pager Operation: Inside Israel's Penetration of Hezbollah," The Washington Post, 5 October 2024, <https://www.washingtonpost.com/world/2024/10/05/israel-mossad-hezbollah-pagers-nasrallah/>.

³⁰Ronen Bergman et al., "Behind the Dismantling of Hezbollah: Decades of Israeli Intelligence," The New York Times, 29 December 2024, <https://www.nytimes.com/2024/12/29/world/middleeast/israel-hezbollah-nasrallah-assassination-intelligence.html>.

اشتبه في العبث بالأجهزة قبل التفجير بأيام ثم قُتل³¹. وسواء أكانت الروايتان عن شخص واحد أم عن شخصين، فإنهما تكشفان نمطًا: كانت إسرائيل تشتري الوقت لقدرتها بتصفية من يقترب من كشفها. وهذا وحده دليل على أن الأداة كانت محفوظة لغاية أعلى من كل ما مرّ من أشهر الحرب.

ثم جاءت لحظة الانكسار بتاريخها. فبحسب نيويورك تايمز، أظهرت معلومات جديدة أن العملية باتت في خطر، ولا سيّما بعد اكتشاف إسرائيل في 11 أيلول 2024 أن بعض الأجهزة نُقل إلى إيران لفحصه³²، أي قبل التفجير بستة أيام. ويروي وثائقي "المصيدة" من الجهة اللبنانية أن المهندس حسين بزي هو من اقترب من كشف الفخ قبل تفجيره، وأنه طلب وسائل فحص متقدمة من³³ إيهافيل عميلا الموساد إنه حين ظهرت مؤشرات على أن الحزب ربما بدأ يرتاب، أعطى رئيس الموساد الضوء الأخضر³⁴.

وفي تركيب هذه الروايات تفصيل يحتاج إلى حسم. رواية رويترز اللبنانية تقول إن استنزاف البطارية لم يُثر قلقًا كبيرًا، والوثائقي يقول إن بزي كان يتقدّم في الفحص. ليس هذا تناقضًا بالضرورة. الأرجح أن الشبهة بقيت في دائرة فنية ضيقة لم تصل إلى قرار تنظيمي بوقف التوزيع، وأن إسرائيل رصدت هذه الدائرة تحديدًا. وهذا يفسّر المفارقة: الحزب يوزّع الأجهزة بثقة، وإسرائيل تفجّر خوفًا من كشفها، في الوقت نفسه.

2. منحنيان متعاكسان

كانت العملية في أسابيعها الأخيرة تتحرّك في اتجاهين متعاكسين: ازدياد عدد الأجهزة الموزّعة، وهو ما يرفع قيمة التفجير، واقترب الفحص من كشف المكونات، وهو ما يهدّد بالغائها كاملة. كلّ يوم إضافي كان قد يضيف أجهزة جديدة إلى النطاق، لكنه يرفع احتمال الانكشاف والسحب. وحين بلغ خطر الكشف حدًا حرجًا، تحوّل الزمن من أصل تملكه إسرائيل إلى عامل يعمل ضدها: كلّ ساعة فحص قد تقود إلى فتح البطارية، أو اكتشاف الدارة، أو سحب الأجهزة، أو التحذير من أجهزة اللاسلكي أيضًا.

3. المعضلة كما رُويت من الداخل

هذه أقوى حلقات السلسلة. فبحسب تقرير المونيتور، حين علمت القيادة الإسرائيلية بالشبهات، درست خيار شنّ حرب شاملة فورًا لكي تحتفظ بهجوم البيجر ضربةً افتتاحية، ودرست كذلك خيار ترك الأمور على حالها رغم خطر انكشاف العملية³⁵. أي إن الخيارات كانت ثلاثة:

- الحرب الشاملة فورًا، والبيجر ضربتها الافتتاحية: الاستعمال الأمثل للأداة، وقد نوقش ثم استُبعد.
- الانتظار: مع المجازفة بخسارة الأداة كاملة.

³¹"Exclusive: Hezbollah Suspicions Forced Israel to Expedite Lebanon Pager Attack," Al-Monitor, 18 September 2024, <https://www.al-monitor.com/originals/2024/09/exclusive-hezbollah-suspicions-forced-israel-expedite-lebanon-pager-attack>.

³²Ronen Bergman et al., "Behind the Dismantling of Hezbollah: Decades of Israeli Intelligence," The New York Times, 29 December 2024, <https://www.nytimes.com/2024/12/29/world/middleeast/israel-hezbollah-nasrallah-assassination-intelligence.html>.

³³الجزيرة نت، "مهندس أربك إسرائيل.. وثائقي يكشف خفايا مجزرة بيجر حزب الله"، 17 أيلول 2026، عن وثائقي "المصيدة" (الجزيرة 360). التفاصيل غير الواردة في هذا المصدر منقولة عن الصيغة الأولى للدراسة ولم يُتحقّق منها مستقلاً.

³⁴Lesley Stahl, "Inside Israel's Plot to Deliver Explosive Pagers to Hezbollah," 60 Minutes, CBS News, 22 December 2024.

³⁵"Exclusive: Hezbollah Suspicions Forced Israel to Expedite Lebanon Pager Attack," Al-Monitor, 18 September 2024, <https://www.al-monitor.com/originals/2024/09/exclusive-hezbollah-suspicions-forced-israel-expedite-lebanon-pager-attack>.

• التفجير الآن من دون حرب شاملة فورية: الخيار الذي اعتُمد.

لو كانت إسرائيل قادرة على الحرب الشاملة فورًا وراغبة فيها، لاختارت الأول لأنه يحقق الغاية القصوى للأداة. فاستبعاده يعني أن شروط الحرب لم تكن ناضجة. واستبعاد الثاني يعني أن خطر الكشف بلغ حدًا لا يُحتمل. فالخيار الثالث ليس الأمثل، بل ما تبقى بعد سقوط الخيارين الآخرين. وهذا بالضبط ما تعنيه الدراسة بفقدان حرية اختيار ساعة الصفر. واللافت أن الحرب نفسها طُرحت على الطاولة وسيلةً لإنقاذ الأداة لا العكس.

وتؤكد روايتان مستقلتان صيغة القرار. فقد وصف مسؤول أميركي لأكيوسوس المنطق الذي قدّمته إسرائيل لواشنطن بأنه لحظة "استخدمها أو أخسرها"، وأفاد مسؤول آخر بأن القيادة السياسية والعسكرية والاستخبارية قرّرت استعمال المنظومة فورًا بدل المجازفة باكتشافها³⁶. ونقلت نيويورك تايمز عن أربعة مسؤولين أمنيين إسرائيليين أن نتنياهو اجتمع بكبار قادة الأمن في 16 أيلول ليقرّر إن كان على إسرائيل أن تستخدمها أو تخسرها³⁷.

4. تعدّد مراكز الحسم

أفادت واشنطن بوست بأن قيادة الموساد كانت الدافع الرئيسي نحو الموافقة، بينما أقرّ آخرون، ومنهم نتنياهو، بخطر ردّ انتقامي واسع، وانتهى الأمر بموافقة³⁸. وقال نتنياهو لاحقًا أمام مجلس الوزراء إن عملية البيجر واغتيال نصرالله تُقدّم رغم معارضة كبار المسؤولين في المؤسسة الأمنية والمسؤولين عنهم في المستوى السياسي، في غمزة واضحة من وزير الدفاع³⁹.

لا ينقض تعدّد المراكز أطروحة الاضطرار، بل يحدّد آليتها. الجهاز صاحب الأصل هو الأكثر حساسية لخطر فقدانه، وهو الذي دفع نحو التفجير. أما من يحمل كلفة الحرب، أي المستوى السياسي وقيادة الأركان، فكان أكثر تحفظًا. جاء التفجير إذن من ضغط الجهاز الذي سيخسر الأصل لا من اكتمال استعداد الجهاز الذي سيخوض الحرب.

سادسًا: انقلاب العلية، التفجير الذي صنع التصعيد

1. التسلسل يومًا بيوم

حين تُرتّب الوقائع يومًا بيوم يتّضح أين وُلد القرار السياسي:

التاريخ	الواقعة
11 أيلول	اكتشاف إسرائيل نقل بعض الأجهزة إلى إيران لفحصها
12 أيلول	إطلاع كبار أعضاء المجلس الوزاري للمرة الأولى على وجود منظومة البيجر

³⁶Barak Ravid, "Israel Conducted Lebanon Pager Attack Fearing Hezbollah Was onto the Operation," Axios, 18 September 2024, <https://www.axios.com/2024/09/18/hezbollah-pager-explosions-israel-suspicions>.

³⁷Ronen Bergman et al., "Behind the Dismantling of Hezbollah: Decades of Israeli Intelligence," The New York Times, 29 December 2024, <https://www.nytimes.com/2024/12/29/world/middleeast/israel-hezbollah-nasrallah-assassination-intelligence.html>.

³⁸"Mossad's Pager Operation: Inside Israel's Penetration of Hezbollah," The Washington Post, 5 October 2024, <https://www.washingtonpost.com/world/2024/10/05/israel-mossad-hezbollah-pagers-nasrallah/>.

³⁹Reuters, "Netanyahu Approved Pager Attacks against Hezbollah, Spokesman Says," 11 November 2024.

التاريخ	الواقعة
16 أيلول	اجتماع "استخدمها أو اخسرها"؛ وليلاً يضيف المجلس الوزاري إعادة النازحين إلى أهداف الحرب
17 و18 أيلول	التفجير بموجتيه
ليل 18 أيلول	رئيس الأركان يصادق على خطط الهجوم والدفاع في الشمال
19 و20 أيلول	ضربات على منصات إطلاق، واغتيال قيادي بارز وعدد من قادة قوة الرضوان في بيروت
23 أيلول	بدء الحملة الجوية الواسعة
27 أيلول	اغتيال حسن نصرالله
1 تشرين الأول	بدء الدخول البري

ومصادر هذا التسلسل: اكتشاف 11 أيلول واجتماع 16 أيلول⁴⁰، وإطلاع الوزراء في 12 أيلول⁴¹، وقرار المجلس الوزاري بعد لقاء نتنياهو بالمبعوث الأميركي أموس هوكستين وإبلاغه أن عودة النازحين مستحيلة من دون تغيير جوهري في الوضع الأمني⁴²، ومصادقة رئيس الأركان⁴³، وضربات 19 و20 أيلول⁴⁴، وبدء الحملة في 23 أيلول⁴⁵.

2. ما يكشفه التسلسل

القرار السياسي لم يسبق الأزمة، بل وُلد داخلها. عرف المستوى السياسي الأوسع بالأداة في اليوم التالي لانكشافها، وحدثت أهداف الحرب في ليلة اجتماع "استخدمها أو اخسرها" نفسها، وصادقت قيادة الأركان على خطط الهجوم بعد التفجير لا قبله. هذا تسلسل يبدأ من الأداة المهددة وينتهي بالحرب لا العكس.

وفي اليوم نفسه الذي صادق فيه رئيس الأركان على الخطط، أعلن غالانت أن مركز الثقل ينتقل شمالاً وأن إسرائيل في بداية مرحلة جديدة من الحرب، مع تحويل القوات والموارد إلى هناك⁴⁶. ولغة "تحويل القوات" لغة من يبدأ الحشد لا لغة من يطلق هجوماً حُشد له.

⁴⁰Ronen Bergman et al., "Behind the Dismantling of Hezbollah: Decades of Israeli Intelligence," The New York Times, 29 December 2024, <https://www.nytimes.com/2024/12/29/world/middleeast/israel-hezbollah-nasrallah-assassination-intelligence.html>.

⁴¹المصدر نفسه (The Washington Post, 5 October 2024).

⁴²قرار المجلس الوزاري الأمني الإسرائيلي، 16 أيلول 2024، كما أعلن في 17 أيلول؛ NPR, "Israel Adds Safe Return of Hezbollah Timeline," 29 September 2024 JNS, "Israel Adds Safe Return of Hezbollah Timeline," 29 September 2024 Northern Residents to War Goals," 17 September 2024.

⁴³بيان الجيش الإسرائيلي عن مصادقة رئيس الأركان ليل 18 أيلول 2024، كما نقله JNS, "Gallant: Northern Border Is Becoming the Main Front of War," 18 September 2024.

⁴⁴ضربات 19 و20 أيلول 2024 واغتيال قيادي بارز وعدد من قادة قوة الرضوان في بيروت، كما أوردتها تقارير الوكالات في حينه (Reuters؛ 20 أيلول 2024).

⁴⁵The New Arab, "Netanyahu Admits Ordering Lebanon Pager Attack as Taiwan Denies Involvement," 11 November 2024 (إغلاق التحقيق التايواني).

⁴⁶تصريحات يوآف غالانت المسجلة، 18 أيلول 2024، كما نقلها Ynet, "Gallant Says 'New Phase in War' as Netanyahu Vows to Return Northern Residents Home," 18 September 2024.

3. إعادة السرد: كيف صار الاضطراب "بداية متدرّجة"

بعد التفجير بساعات بدأ بناء السردية، إذ قُدِّم الحدث بوصفه افتتاح "مرحلة جديدة" ثم استقرّت الرواية حتى صارت الصحافة الإسرائيلية تكتب أن تفجير 17 أيلول شكّل بداية التصعيد الإسرائيلي ضدّ الحزب⁴⁷، وكأنه كان كذلك في التصميم.

هنا يكمن التحويل: فعل مفروض أُعيد تقديمه خطوةً أولى في خطة متدرّجة. وقد خدم هذا التحويل وظيفتين. خارجياً، أخفى أن الأداة استُعملت دون لحظتها. وداخلياً، حوّل ضرورة استخبارية إلى قرار استراتيجي يُنسب إلى القيادة. واعترافاً بتناهُو بأنه وافق على العملية رغم معارضة كبار المسؤولين الأمنيين جزء من هذا البناء، إذ ينقل الحدث من خانة الاضطراب إلى خانة الجرأة في القرار.

والفوارق الزمنية هي الدليل الأوضح على ذلك. فالبداية المتدرّجة المقصودة لا تحتاج ستة أيام قبل الضربة الجوية الواسعة، ولا أسبوعين قبل الدخول البري. هذه فجوات من يلحق بحدث سبقه لا من ينفذ خطة أعدّها.

4. حدود هذه القراءة

ثمة وقائع ينبغي أن تستوعبها الأطروحة بدل أن تتجاوزها. فملف النازحين من الشمال كان يضغط منذ أشهر، وكان رئيس الموساد وقادة الاستخبارات العسكرية يحثّون منذ آب 2024 على حملة قصيرة لتحديد قدرات الحزب الصاروخية وإبعاده عن الحدود⁴⁸. الصياغة الدقيقة إذن أن هذه كانت شروطاً كامنة للتصعيد، وأن البيجر المهدّد كان المحرك الذي حوّلها إلى قرار، وحدّد توقيته وشكله المتدرّج.

ويمكن قراءة ضغط رئيس الموساد في آب بطريقتين: ضغطاً مستقلاً للتصعيد، أو ضغط صاحب الأصل الذي بدأ يستشعر هشاشته بعد أن اضطرّ في وقت سابق من العام إلى تصفية فنيٍّ اقترب من كشف أجهزة اللاسلكي. القراءة الثانية منسجمة مع الأطروحة، لكنها تأويل يُعلن بوصفه تأويلاً لا واقعة. ولهذا تمنح الدراسة حكمها بأن التفجير هو الذي دفع إلى التصعيد درجة "مرجح"، بينما تمنح حكمها بأن التوقيت مفروض درجة "مرجح جداً". والتفاوت بين الدرجتين يحمي الأطروحة من تحميل الحجة أكثر مما تحتمل.

5. الفرضيات الثلاث في مواجهة الأدلة

الدليل	الفرضية الأولى	الفرضية الثانية	الفرضية الثالثة
إدراج الأجهزة في خطة 11 تشرين الأول 2023	محايد	يؤيد	يؤيد
أحد عشر شهراً من الحرب بلا تفعيل	يُضعف	يؤيد	يؤيد
اكتشاف نقل العيّنة إلى إيران في 11 أيلول	لا يفسّر	يؤيد	يؤيد

⁴⁷Ronen Bergman et al., "Behind the Dismantling of Hezbollah: Decades of Israeli Intelligence," The New York Times, 29 December 2024, <https://www.nytimes.com/2024/12/29/world/middleeast/israel-hezbollah-nasrallah-assassination-intelligence.html>.

⁴⁸Ronen Bergman et al., "Behind the Dismantling of Hezbollah: Decades of Israeli Intelligence," The New York Times, 29 December 2024, <https://www.nytimes.com/2024/12/29/world/middleeast/israel-hezbollah-nasrallah-assassination-intelligence.html>.

الدليل	الفرضية الأولى	الفرضية الثانية	الفرضية الثالثة
دراسة خيار الحرب الفورية ثم استبعاده	ينفي	يُضعف	يؤيد بقوة
إطلاع الوزراء في 12 أيلول	ينفي	يُضعف	يؤيد
تزامن قرار المجلس الوزاري مع اجتماع "استخدمها أو اخسرها"	يُضعف	يُضعف	يؤيد
المصادقة على الخطط بعد التفجير	ينفي	يُضعف	يؤيد
إحراق قناة تنصت عمرها تسع سنوات	يُضعف	يؤيد	يؤيد
ضغوط التصعيد السابقة (النازحون، ضغط الموساد في آب)	يؤيد	يؤيد	لا ينفي

تسقط الفرضية الأولى أمام أربعة أدلة نافية. وتضعف الثانية أمام تزامن القرار السياشي مع أزمة الأداة وتأخر الخطط العسكرية عنها. أما الثالثة فهي الوحيدة التي لا ينفيها دليل متاح، ولذلك تتبناها الدراسة.

سابعًا: الفجوة وحدود التعويض اللاحق

إذا كانت الأجهزة قد زُرعت لتعطيل القيادة والسيطرة عند اندلاع الحرب، فإن أعلى قيمة لها تتحقق حين يتزامن تفجيرها مع الضربة الجوية الافتتاحية أو يسبق التحرك البري بساعات. عندها يواجه الحزب في آن واحد: آلاف الإصابات، وانهيار وسيلة الاتصال البديلة، وفقدان الثقة ببقية المعدات، وضرورة حماية القيادة وإعادة توزيع المسؤوليات، وضغطًا جويًا وبريًا يمنع التحقيق الهادئ.

أما الفصل بين التفجير والحملة الجوية بستة أيام، وبينه وبين الدخول البري بنحو أسبوعين، فأتاح جمع الأجهزة، وفحص الشبكات، واعتماد وسائل بديلة، وتغيير بعض الإجراءات، واستيعاب المستوى الأول من الصدمة. ولا يعني ذلك أن الحزب استعاد قدرته كاملة، فقد أقر أمينه العام بأنه تعرّض لضربة أمنية وإنسانية كبيرة غير مسبوقة في تاريخ المقاومة في لبنان⁴⁹. لكنه حصل على وقت لم يكن سيحصل عليه لو وقع التفجير عند بدء الهجوم.

ويمكن القول إن إسرائيل عوّضت جزئيًا عن فقدان التزامن. فقد ضربت منصات الإطلاق في 19 أيلول، واغتالت في 20 أيلول قياديًا بارزًا وعددًا من قادة قوة الرضوان في اجتماع ببيروت⁵⁰، ثم أطلقت الحملة الجوية، واغتالت نصرالله، وانتقلت إلى العملية البرية. ويطرح الباحث هنا فرضية خاصة به لا تسندّها مصادر مباشرة ودرجتها "متكافئ الاحتمال": أن يكون تعطل وسائل الاتصال قد دفع بعض القيادات إلى لقاءات مباشرة جعلتها أكثر عرضة للاستهداف، ومنها الاجتماع الذي استهدف في بيروت في 20 أيلول. فإن صحّت، يكون الشلل الجزئي قد استثمر بطريقة غير مباشرة، وهو استثمار لاحق لا تزامن.

⁴⁹الخطاب نفسه، 19 أيلول 2024. النص المنقول عن: النهار، 19 أيلول 2024.

⁵⁰ضربات 19 و20 أيلول 2024 واغتيال قيادي بارز وعدد من قادة قوة الرضوان في بيروت، كما أوردتها تقارير الوكالات في حينه (Reuters؛ 20 أيلول 2024 Associated Press).

لكن التعويض اللاحق لا يعيد إنتاج شروط اللحظة الضائعة. ما جاء بعد العملية يثبت أن إسرائيل استثمرت نتائجها، ولا يثبت أنها نفذتها في توقيتها الأمثل. الاستثمار اللاحق شيء، والتزامن العملياتي شيء آخر. ويمكن التمييز بين ثلاثة أحكام: لم تكن العملية بلا امتداد عسكري؛ ونجحت إسرائيل في استثمار أثارها ضمن الحملة اللاحقة؛ لكن هذا الاستثمار لم يساوِ التزامن الذي كان سيدخل الحزب الهجوم البري في ذروة الشلل.

ثامناً: ماذا لو ضغط الزرّ الأحمر لحظة بدء الهجوم؟

يقيس هذا السؤال بدقّة ما لم يكتمل. والفارق بين اللحظتين نوعي لا كميّ: في أيلول أصابت الأداة التنظيم، ولو استعملت عند بدء الهجوم لشلّت المعركة.

1. تتغيّر الفئة المستهدفة

نقلت واشنطن بوست أن القتلى والمصابين من عناصر الحزب في موجة البيجر كانوا في معظمهم من الصفوف الخلفية، إلى جانب عدد غير معروف من المدنيين⁵¹. وهذه نتيجة بنيوية لا عرضية: في زمن المواجهة المحدودة يحمل الجهاز الإداري والتنظيمي والاحتياطي، أما في زمن الحرب فينتقل إلى يد المقاتل وقائد المجموعة وضابط الاتصال في الميدان. وأجهزة اللاسلكي تحديداً أداة ميدانية، فلو فُجرت وهي موزعة على الوحدات المنتشرة، لأصابت نواة القتال لا مستودعاتها ولا صفّها الخلفي.

2. يتحوّل انقطاع الاتصال إلى انقطاع في القيادة والسيطرة

في أيلول كان على الحزب أن يستبدل وسيلة اتصال. أما في لحظة الاقتحام فعليه أن يدير معركة دفاعية بلا وسيلة، وأن يتحقّق من الوحدات ويصدر الأوامر ويحرّك الاحتياط في الوقت نفسه. كلّ خلل في الاتصال يصير خسارة ميدانية مباشرة، وكلّ تأخر في إصدار الأمر مساحة يتحرّك فيها المهاجم.

3. تلغى نافذة التعافي

لا جمع للأجهزة، ولا تحقيق هادئ، ولا اعتماد لبدائل، ولا إعادة توزيع للمسؤوليات. والشكّ الذي أصاب كلّ المعذّات بعد الموجة الأولى، والذي احتاج الحزب إلى أيام لتحويله إلى إجراءات حماية، كان سيعمل في لحظة الهجوم عامل شلل إضافياً لا عامل تكيف.

4. تتضاعف كلفة الإسعاف

آلاف الإصابات دفعة واحدة، فوق إصابات القصف والاشتباك، تستنزف منظومة طبية تعمل أصلاً تحت النار، وتفرض على التنظيم أن يوزّع موارده بين الجبهة والمستشفى.

5. الهجوم المحدود والهجوم الشامل

في الهجوم البري المحدود، كالذي جرى فعلاً، كان التفجير سيحمي تقدّم القوات في الشريط الحدودي ويخفض كلفتها البشرية. وفي الهجوم الشامل، الذي نوقش ثم استبعد في منتصف أيلول، كان سيبلغ غايته القصوى: ضربة افتتاحية تُدخل الحزب الحرب مشلولاً في رأسه وأطرافه معاً.

6. قيود الفرضية المضادة

للإنصاف، ثلاثة قيود تحدّ من حجم الفارق دون أن تلغي طبيعته. الأول أن الحزب في حالة الحرب يكون في أعلى جاهزيته، وقد ينتقل جزئياً إلى وسائل بديلة. والثاني أن عقيدته القتالية تقوم على

⁵¹المصدر نفسه (The Washington Post, 5 October 2024).

لامركزية الوحدات، ما يحدّ من أثر شلّ القيادة المركزية. والثالث أن الكلفة المدنية والقانونية لا تزول في هذا السيناريو، لأن المحظور القانوني يتعلق بالوسيلة لا بلحظة استعمالها. ويبقى الحكم أن العملية لم تُستعمل في اللحظة التي تكشفها طبيعتها.

تاسعًا: ما اكتمل وما لم يكتمل

1. ما اكتمل

اكتمل الاختراق اللوجستي: وصلت الجهة المنقّذة إلى سلسلة توريد شديدة الحساسية ووجّهتها نحو أجهزة صُمّمت للعملية.

واكتمل الخداع التجاري: ظهر المنتج مرتبطًا بعلامة معروفة ومسار يمكن التحقق منه، وبذاكرة إلكترونية مصطنعة، مع توزيع الأدوار بين شركات ووسطاء في عدّة دول.

ونجح اجتياز الفحص: أخضعت الأجهزة لاختبارات من دون اكتشاف مكوّناتها، واستمرّ توزيعها حتى الساعات السابقة للتفجير.

ونجح التفعيل: استجاب عدد كبير من الأجهزة على نطاق جغرافي وتنظيمي واسع.

وتحقّق أثر بشري وتنظيمي بالغ، واختراق نفسي للثقة امتدّ من الجهاز إلى المورد والمخزن والفحص ومسؤول الشراء.

وتعزّزت الصورة الاستخبارية الإسرائيلية بعد إخفاق 7 تشرين الأول 2023، إذ قدّمت العملية مشهدًا يعيد إبراز القدرة على الوصول إلى عمق بنية الخصم.

2. ما لم يكتمل

لم يكتمل انتشار البيجر. فقد قال نصرالله في خطابه يوم 19 أيلول إن أكثر من أربعة آلاف جهاز وُزعت على عناصر الحزب⁵²، وهو رقم يتقاطع مع رقم الوثائقي (نحو 4250 جهازًا في لبنان)، ويكتسب قيمة خاصة لأنه يأتي من الطرف الذي لا مصلحة له في تضخيم حجم اختراقه. أما عميلًا الموساد فتحدّثا عن خمسة آلاف جهاز⁵³، والفارق قد يعكس احتساب ما لم يصل بعد. ولا يستقيم جمع الأرقام تمامًا: 4250 جهازًا في لبنان زائد 1300 في الطريق يساوي 5550، وهو أعلى من رقم الموساد (5000). لذلك يبقى رقم "1300 في الطريق" في خانة غير المحسوم، ويصحّ منه القدر الذي تتفق عليه الروايات كلّها: أن دفعات لم تكن قد وصلت يوم التفجير. وهذا القدر وحده كافٍ لحجّة الدراسة، ولا تتوقّف عليه دقّتها.

ولم يكتمل توزيع أجهزة اللاسلكي على الأرجح. غير أن رقم الوثائقي عن أجهزة مخزّنة (نحو 600 من أصل 800) يبقى غير محسوم، إذ انفجرت أجهزة الموجة الثانية في منازل ومجالس تشييع وشوارع⁵⁴. لذلك لا تبني الدراسة حكمها على هذا الرقم، بل تكتفي به قرينة مساعدة، ويبقى الحكم قائمًا حتى لو ثبت خطؤه.

ولم تكتمل حرّية اختيار التوقيت، ولم يكتمل التزامن، ولم تُستثمر نافذة الشلل فورًا. وكُشفت القدرة قبل استنفادها، فتحوّلت الموجة الثانية إلى تصفية عاجلة لما بقي منها لا إلى استعمال حرّ

⁵² خطاب حسن نصرالله المتلفز، 19 أيلول 2024. النصّ المنقول عن: العربية نت، 19 أيلول 2024.

⁵³ Lesley Stahl, "Inside Israel's Plot to Deliver Explosive Pagers to Hezbollah," 60 Minutes, CBS News, 22 December 2024.

⁵⁴ Agence France-Presse, "UN Denounces Lebanon Device Blasts as Violation of International Law," 21 September 2024.

لها. ولم تتحوّل الخسائر التكتيكية بذاتها إلى حسم استراتيجي: فلم يؤدّ التفجير وحده إلى انهيار الحزب، ولم يمنع استمرار إطلاق النار، ولم يحسم الجبهة. كانت العملية أداة استثنائية، لكنها لم تكن استراتيجية مكتفية بذاتها، وقيمتها القصوى كانت تتطلب وضعها في اتصال مباشر مع بقية أدوات الحرب.

عاشرًا: الأثر المدني والوضع القانوني الدولي

1. الحصيلة المدنية

لا يكتمل تقويم العملية بمعيار الكفاءة العملية وحده. فقد أحصى خبراء حقوق الإنسان في الأمم المتحدة، في بيانهم يوم 19 أيلول 2024، ما لا يقل عن 32 قتيلاً و3250 مصاباً، بينهم 200 في حالة حرجة، وبين القتلى صبي وفتاة وعاملون في القطاع الطبي، ونحو 500 إصابة بالغة في العيون، منها إصابة دبلوماشي⁵⁵. وانفجرت الأجهزة أثناء وجود حاملها في المتاجر والشوارع ومجالس التشييع، فعمّ الذعر البلاد⁵⁶. وأصيب السفير الإيراني في بيروت، وامتدّت الإصابات إلى سوريا.

2. الموقف الأممي

دان الخبراء التلاعب بالآلاف الأجهزة لتنفجر متزامنة، وعدّوه انتهاكاً للحق في الحياة ما لم يكن الضحايا يشكلون تهديداً قاتلاً وشيكاً، ونبّهوا إلى أن القانون الإنساني يحظر الأضرار الخداعية المموّهة في هيئة أشياء محمولة تبدو غير مؤذية، وأن ذلك قد يشمل جهاز نداء مدنيّاً معدّلاً، وأن ارتكاب العنف بقصد بث الرعب بين المدنيين جريمة حرب⁵⁷. وأضافوا أنه، بقدر ما ينطبق القانون الإنساني، لم يكن ممكناً لحظة التفجير معرفة من يحمل كلّ جهاز ومن يقف قرينة⁵⁸. وأمام مجلس الأمن، قال المفوض السامي لحقوق الإنسان فولكر تورك إن التفجيرات تبدو مخالفة لمبادئ التمييز والتناسب والاحتياط، وإن هذا الأسلوب في الحرب، مهما بدا جديداً، يبقى خاضعاً للقانون⁵⁹.

3. الحجّة المقابلة

تقدّم الرواية الإسرائيلية حجّتها في صيغة تقنية: فقد قال أحد عميلي الموساد إن الشحنة غيّرت بحيث تصيب حامل الجهاز وحده دون من يقف إلى جانبه، وإن ذلك اختُبر⁶⁰. وفي الأدبيات القانونية الغربية من يري أن الحكم على مشروعية العملية "يتوقّف على" الوقائع، ومنها قراءة معهد ليبر في ويست بوينت⁶¹. غير أن هذه الحجّة تصطدم بمعطين: الحصيلة المدنية المؤثقة، وتصميم رسالة

⁵⁵Office of the UN High Commissioner for Human Rights, "UN Experts Condemn Exploding Pagers as Terrifying Violations of International Law," Geneva, 19 September 2024.

⁵⁶Agence France-Presse, "UN Denounces Lebanon Device Blasts as Violation of International Law," 21 September 2024.

⁵⁷Office of the UN High Commissioner for Human Rights, "UN Experts Condemn Exploding Pagers as Terrifying Violations of International Law," Geneva, 19 September 2024.

⁵⁸بيان رئيس الحكومة اللبنانية نجيب ميقاتي، 17 أيلول 2024، عن الوكالة الوطنية للإعلام؛ ولم يتيسّر الاطلاع على نصّ الوكالة مباشرة، والإحالة عبر ناقل (SabrangIndia).

⁵⁹Associated Press, "Weaponizing Ordinary Devices Violates International Law, United Nations Rights Chief Says," 21 September 2024 (يتضمّن مداخلة فولكر تورك وعبدالله بوحبيب أمام مجلس الأمن).

⁶⁰Lesley Stahl, "Inside Israel's Plot to Deliver Explosive Pagers to Hezbollah," 60 Minutes, CBS News, 22 December 2024.

⁶¹Lieber Institute, West Point, "'Well, It Depends': The Explosive Pagers Attack Revisited," 11 March 2025.

التفعيل الذي يجعل الجهاز يُمسك بكلتا اليدين ليلبغ الأذى أقصاه⁶²، وهو تصميم يخدم تعظيم الإصابة لا حصرها.

4. العلاقة بين الحكم القانوني وأطروحة الدراسة

يتصل المحور القانوني بالأطروحة المركزية من زاوية دقيقة. فالمحذور القانوني يتعلّق بالوسيلة نفسها (شرك خداعي ممّوه في شيء مدني محمول لا بلحظة استعمالها. لذلك لا يجعل التوقيت الأمثل العملية مشروعة، كما لا يجعلها التوقيت المفروض أكثر عدم مشروعية. غير أن التوقيت المفروض فاقم الكلفة المدنية من جهة: فالأجهزة فُجّرت وهي في حياة حاملها اليومية (البيت والسوق والطريق) لا في ميدان قتال. وهذا يعني، على الأرجح، أن اضطرار التوقيت لم ينقص العائد العسكري فحسب، بل رفع نسبة الأذى المدني إلى الأثر العسكري. على أن هذا الترجيح مقيد: فحاملو الأجهزة يعيشون بين المدنيين في الحالين، ولو وقع التفجير زمن الهجوم لبقيت الكلفة المدنية مرتفعة، وربما اتسعت بفعل القصف المتزامن.

حادي عشر: البعد السيادي اللبناني

1. الدولة بوصفها الغائب الحاضر

وصف رئيس الحكومة اللبنانية نجيب ميقاتي الهجوم بأنه انتهاك خطير للسيادة اللبنانية وجريمة بكلّ المقاييس⁶³. وأبلغت بعثة لبنان الدائمة لدى الأمم المتحدة مجلس الأمن أن التحقيقات الأولية أظهرت أن الأجهزة فُخّخت قبل وصولها إلى لبنان⁶⁴. وحذّر وزير الخارجية عبدالله بوحبيب المجلس من أن عدم إدانة التفجيرات وتسمية إسرائيل سيفتح "صندوق باندورا"، فتستهدف حكومات وجماعات متطرّفة المدنيين بأجهزة اتصال مماثلة في القطارات والطائرات وغيرها⁶⁵.

لكن الموقف الرسمي اللبناني كشف، من حيث لا يقصد، مأزقاً بنيويّاً. فقد دخلت الأجهزة عبر منافذ الدولة (ومنها، بحسب الوثائقي، مطار بيروت⁶⁶)، وانفجرت في فضاءها المدني، وعولج ضحاياها في مستشفياتها، وتحملت الدولة كلفتها الدبلوماسية. ومع ذلك لم تكن الدولة طرفاً في قرار شرائها، ولا في فحصها، ولا في توزيعها.

2. المأزق الدستوري

ينصّ اتفاق الطائف ووثيقة الوفاق الوطني على بسط سلطة الدولة على كامل أراضيها بقواها الذاتية، وتجعل المنظومة الدستورية اللبنانية الأمن الوطني وظيفه من وظائف الدولة. غير أن الواقع القائم منذ عقود أنتج ازدواجاً: منظومة أمنية وعسكرية موازية تملك سلاسل توريدها ومشترياتها واتصالاتها خارج رقابة المؤسسات الرسمية. وقد كشفت العملية كلفة هذا الازدواج من زاوية غير مألوفة: حين يقع المسار اللوجستي لفاعل مسلّح خارج رقابة الدولة، تستطيع جهة استخبارية أجنبية أن تحوّل

⁶² المصدر نفسه (The Washington Post, 5 October 2024).

⁶³ بيان رئيس الحكومة اللبنانية نجيب ميقاتي، 17 أيلول 2024، عن الوكالة الوطنية للإعلام؛ ولم يتيسّر الاطلاع على نصّ الوكالة مباشرة، والإحالة عبر ناقل (SabrangIndia).

⁶⁴ حصيلة وزير الصحة اللبناني فراس الأبيض، 19 أيلول 2024، ورسالة البعثة اللبنانية الدائمة إلى مجلس الأمن، كما نقلتهما وكالة فرانس برس (عبر سويس إنفو، 19 أيلول 2024).

⁶⁵ Associated Press, "Weaponizing Ordinary Devices Violates International Law, United Nations Rights Chief Says," 21 September 2024 (يتضمّن مداخلتي فولكر تورك وعبدالله بوحبيب أمام مجلس الأمن).

⁶⁶ الجزيرة نت، "مهندس أربك إسرائيل.. وثائقي يكشف خفايا مجزرة بيجر حزب الله"، 17 أيلول 2026، عن وثائقي "المصيدة" (الجزيرة 360). التفاصيل غير الواردة في هذا المصدر منقولة عن الصيغة الأولى للدراسة ولم يُتحقّق منها مستقلاً.

الأراضي والفضاء المدني اللبنانيين إلى ميدان لسلح ممّوه، بينما تبقى الدولة مسؤولة أمام القانون الدولي وأمام مواطنيها عن فضاء لا تسيطر على ما يدخل إليه.

ولا يُقرأ هذا الحكم تحميلاً لطرف لبناني بعينه مسؤولية الاعتداء، فالمسؤولية القانونية الأولى تقع على من صمّم العملية ونفذها. لكنه يطرح سؤالاً سيادياً لا يمكن تأجيله: هل يمكن لدولة أن تحمي سيادتها في فضاء لا تعلم ما يدخل إليه ولا لمن؟

3. المسار القانوني الدولي المتاح للدولة

امتلك لبنان، ولا يزال، أدوات لم يستثمرها كاملة: المطالبة بتحقيق دولي مستقل على النحو الذي دعا إليه الخبراء الأمميون والمفوض السامي، وتوثيق الإصابات المدنية توثيقاً منهجياً يصلح أساساً للمساءلة، والتعاون القضائي مع الدول التي عبرت فيها سلسلة التوريد، والدفع بمبدأ الولاية القضائية العالمية على جرائم الحرب الذي أشار إليه الخبراء⁶⁷.

ثاني عشر: الفريق الأحمر، أقوى قراءة مضادة

تقتضي الصرامة المنهجية بناء أقوى صيغة ممكنة للقراءة المضادة ثم اختبارها.

الصيغة المضادة: لم تكن هناك "لحظة مثلى" ضائعة، لأن إسرائيل لم تكن تنوي حرباً شاملة أصلاً. كانت تريد إكراه الحزب على فصل الجبهة اللبنانية عن غزة بأدنى كلفة. والتفجير ثم الاغتيالات، ثم الحملة الجوية ثم الدخول البري المحدود، سلّم تصعيد إكراهي مقصود، كلّ درجة منه تمنح الخصم فرصة للتراجع. وفي هذه القراءة يصبح الفاصل الزمني جزءاً من المنطق الإكراهي لا دليلاً على الاضطرار.

اختبار الصيغة: تصمد هذه القراءة أمام جزء من الأدلة، إذ تفسّر محدودية الهجوم البري وانتهاء الحرب باتفاق وقف إطلاق النار. لكنها تعجز عن تفسير أربعة معطيات. الأول أن الأداة أدرجت منذ تشرين الأول 2023 في خطة هجوم شامل لا في سلّم إكراهي. والثاني أن القيادة الإسرائيلية ناقشت فعلاً الحرب الشاملة الفورية وسيلةً للحفاظ على البيجر ضربةً افتتاحية. والثالث أن صيغة "استخدمها أو اخسرها" هي صيغة اضطرار لا صيغة إكراه مدروس. والرابع أن منطق الإكراه لا يفسّر إحراق قناة تنصّت عمرها تسع سنوات في درجة أولى من السلم.

الحكم: تفسّر القراءة المضادة كيف أديرت الحرب بعد التفجير، ولا تفسّر لماذا وقع التفجير حين وقع. بل إنها تنسجم مع أطروحة انقلاب العلية: فالسلّم الإكراهي قد يكون الشكل الذي اتّخذه التصعيد بعد أن فرضته الأداة لا الخطة التي سبقتها.

ثالث عشر: الدروس والتوصيات

تقتصر التوصيات على المستوى الاستراتيجي والسياساتي، وتُخاطب بها بالدرجة الأولى المؤسسات الرسمية اللبنانية، لأنها صاحبة الولاية الدستورية على الفضاء الذي وقعت فيه العملية.

1. التوصية الأولى: رقابة سيادية على استيراد معدّات الاتصال

• **الجهة المخاطبة:** مجلس الوزراء، ووزارة الاتصالات، والمديرية العامة للجمارك، ومديرية المخابرات في الجيش.

⁶⁷Office of the UN High Commissioner for Human Rights, "UN Experts Condemn Exploding Pagers as Terrifying Violations of International Law," Geneva, 19 September 2024.

- **الفعل المطلوب:** إخضاع استيراد أجهزة الاتصال اللاسلكي والنداء وبطارياتها لنظام ترخيص مسبق وتديق في المنشأ، مع فحص عينات عشوائية فحصاً تدميراً في مختبر رسمي.
- **الأفق الزمني:** عاجل.

- **المخاطر:** الاصطدام بمسارات توريد خارج رقابة الدولة، وتحول الإجراء إلى أداة تجاذب سياسي.
- **مؤشر النجاح:** صدور الإطار التنظيمي، وإنشاء المختبر، وعدد الشحنات المدققة سنوياً.

2. التوصية الثانية: ملف مسألة دولي موثق

- **الجهة المخاطبة:** وزارتا الخارجية والعدل، ووزارة الصحة.
- **الفعل المطلوب:** بناء قاعدة بيانات موثقة للضحايا المدنيين وطبيعة إصاباتهم، والمطالبة الدائمة بتحقيق دولي مستقل، والتعاون القضائي مع دول مسار التوريد.
- **الأفق الزمني:** متوسط المدى.
- **المخاطر:** ضعف الاستجابة الدولية، والتسييس الداخلي للملف.
- **مؤشر النجاح:** اكتمال التوثيق، وإدراج الملف في تقارير الهيئات الأممية، وفتح إجراءات قضائية في دولة واحدة على الأقل.

3. التوصية الثالثة: عقيدة وطنية لأمن سلاسل التوريد

- **الجهة المخاطبة:** المجلس الأعلى للدفاع، ولجنة الدفاع والأمن في مجلس النواب.
- **الفعل المطلوب:** اعتماد مبادئ ملزمة لكل مشتريات المعدات الحساسة في القطاع العام: التحقق من الأصل لا من المنتج فقط، ومعاملة كل استبدال مفروض لنموذج معروف بوصفه نقطة خطر، والفصل بين جهة الشراء وجهة الاستلام وجهة الفحص، ومعاملة البطاريات والقطع البديلة كمكونات أمنية لا ملحقات استهلاكية، وتنويع وسائل الاتصال بدل الانتقال الجماعي إلى حل واحد.
- **الأفق الزمني:** متوسط إلى بعيد المدى.
- **مؤشر النجاح:** صدور العقيدة وتعميمها، وإدراجها في دفاتر شروط المناقصات العامة.

4. التوصية الرابعة: مبادرة دبلوماسية لتحسين الأشياء المدنية

- **الجهة المخاطبة:** وزارة الخارجية، بالتنسيق مع الدول العربية في الأمم المتحدة.
- **الفعل المطلوب:** الدفع نحو إعلان أو قرار دولي يؤكد انطباق حظر الأشرار الخداعية على الأجهزة الإلكترونية الاستهلاكية المعدلة، ويعزز التزامات الدول في رقابة سلاسل التوريد العابرة لأراضيها.
- **الأفق الزمني:** بعيد المدى.
- **المخاطر:** الاعتراض المتوقع من دول ترى في هذه الأدوات سوابق قابلة للاستعمال.
- **مؤشر النجاح:** تبني نص في هيئة أممية، أو إدراج المسألة في مؤتمرات مراجعة اتفاقية الأسلحة التقليدية.

5. ما لا يُوصى به

لا توصي الدراسة بتحويل الملف إلى حملة تخوين داخلية تبحث عن "عميل" في كل حلقة، لأن العملية أثبتت أن هندسة القرار ممكنة من دون عميل، ولأن توسيع دائرة الاشتباه الداخلي هو بالضبط أحد الآثار التي تسعى إليها هذه العمليات. ولا توصي بالاكتماء بالإدانة الدبلوماسية من دون بناء الأدوات الرقابية، لأن الإدانة لا تمنع التكرار.

رابع عشر: الحكم الختامي ومؤشرات قابلة للدحض

1. الحكم

تكشف العملية عن مفارقة نادرة: كلما ازداد تقديرنا لعبقرية بنائها، صعب قبول أن توقيتها كان اختياراً حراً. فالجهة التي أدارت علاقة التوريد، وصممت المنتج، وصنعت له ماضياً، وأخفت مكوناته، وانتظرت انتشاره أحد عشر شهراً في قلب الحرب، وصفت من اقتراب من كشفه لا يمكن افتراض أنها لم تدرك قيمة التزامن. وإذا نفذت في لحظة أقل من المثلى، فالسبب الأرجح ليس عجزها عن فهم العملية التي صنعتها، بل فقدانها القدرة على انتظار اكتمال شروطها.

وعليه تصدر الدراسة الحكم الآتي:

"كانت العملية معدة لتكون ضربة افتتاحية في حرب شاملة، وأدرجت في خطتها منذ تشرين الأول 2023. لكن اقتراب الحزب من كشفها انتزع من إسرائيل حرية اختبار ساعة الصفر، فاخترت استعمال القدرة قبل فقدانها. ولم يأت التفجير داخل قرار حرب ناضج، بل كان المحرك الذي حوّل ضغوط التصعيد الكامنة إلى قرار ثم أعيد سرده بوصفه بداية مقصودة لحملة متدرجة."

(الشق الأول: مرجح جداً، بثقة عالية. الشق الثاني: مرجح، بثقة متوسطة.)

2. مؤشرات لو ظهرت لأضعفت الأطروحة

- تلتزم الدراسة بشروط دحضها. وتضعف أطروحتها إذا ظهر واحد أو أكثر من المعطيات الآتية:
- وثيقة أو شهادة موثوقة تثبت أن خطط الهجوم على الحزب صودق عليها قبل 11 أيلول 2024، وأن موعد التفجير حُدد مسبقاً جزءاً منها.
- دليل على أن اكتشاف نقل العينة إلى إيران لم يقع، أو وقع بعد قرار التفجير.
- شهادات من داخل الحزب تنفي وجود فحص فني متقدم أو طلب مساعدة تقنية خارجية قبل التفجير.
- معطيات تثبت أن أجهزة اللاسلكي كانت موزعة بالكامل على المقاتلين، وأن التزامن مع الحرب لم يكن ليغير فئة المستهدفين.
- وتبقى الفجوة المعلوماتية الأكبر في الأرشفة الإسرائيلية نفسه، وفي تحقيقات الحزب الداخلية. وفتح أي منهما قد يعدل درجات الترجيح، لكنه لن يلغي المفارقة الوظيفية التي انطلقت منها الدراسة، لأنها قائمة في بنية الأداة لا في رواية أي طرف عنها.

خاتمة: الأداة المكتملة والمشهد الناقص

لم تكن عملية البيجر فشلاً. كانت اختراقاً استخبارياً بالغ التعقيد، ونجاحاً هندسياً وتنفيذياً، وضربة بشرية وتنظيمية ونفسية قاسية. وقد كشفت قدرة إسرائيل على العمل داخل المناطق التي اعتقد حزب الله أنها الأكثر حماية: المشتريات، والتوريد، والفحص، والاتصال البديل.

لكن العملية لا تُقاس بما فعلته فقط، بل بما كان يمكن أن تفعله لو استعملت في اللحظة التي تكشفها طبيعتها. كانت قادرة على أن تكون ضربة افتتاحية تُدخل الحزب الحرب وهو يعالج آلاف الإصابات في صفوف مقاتليه، ويفقد شبكات اتصاله، ويشك في أجهزته ومورديه، ويواجه هجوماً لا يمنحه وقتاً لإعادة التنظيم.

هذا التزامن لم يتحقق. بدأ الفحص، واقترب من قلب الجهاز، وأُرسلت عينة إلى الخارج، فانتهدت مرحلة الانتظار. فُجرت الأجهزة قبل وصول جميع الدفعات وفي جيوب الصف الخلفي، وفُجرت

أجهزة اللاسلكي ومعها قناة تنصت عمرها سنوات ثم لحقت الحرب بالتفجير بدل أن يفتتحها. ونجحت إسرائيل في إنقاذ أثر كبير من قدرتها، وفي تحويل الاضطراب إلى سرديّة مبادرة. غير أن نجاحها في تحويل الاضطراب إلى مكسب ثم إلى رواية لا يلغي أصل الاضطراب.

كانت العملية كاملة في تصميمها، مكتملة في اختراقها، ناجحة في تفجيرها؛ لكنها خرجت من كمونها قبل اكتمال انتشارها، وقبل اتصالها باللحظة العسكرية التي صُممت لها. ولهذا يصح وصفها، من دون تناقض، بأنها إحدى أنجح العمليات الاستخبارية في العصر الحديث، وفي الوقت نفسه: "العملية التي لم تكتمل."

المراجع

المراجع العربية

- الجزيرة نت. "مهندس أربك إسرائيل.. وثائقي يكشف خفايا مجزرة بيجر حزب الله". 17 أيلول 2026. عن وثائقي "المصيدة"، إنتاج الجزيرة 360.
- العربية نت. "نصر الله لا شك تعرّضنا لضربة أمنية وإنسانية غير مسبوقة". 19 أيلول 2024.
- النهار. "نصرالله يصف الهجوم الإسرائيلي بإعلان حرب". 19 أيلول 2024.
- سويس إنفو، عن وكالة فرانس برس. تقرير عن حصيلة وزير الصحة اللبناني ورسالة البعثة اللبنانية إلى مجلس الأمن. 19 أيلول 2024.
- الوكالة الوطنية للإعلام. بيان رئيس مجلس الوزراء اللبناني نجيب ميقاتي. 17 أيلول 2024.

المراجع الأجنبية

- Associated Press. "An Israeli Preemptive Strike against Hezbollah Was Averted Early in Gaza War, Top Official Says." 19 January 2024.
- Associated Press. "Weaponizing Ordinary Devices Violates International Law, United Nations Rights Chief Says." 21 September 2024.
- Agence France-Presse. "UN Denounces Lebanon Device Blasts as Violation of International Law." 21 September 2024.
- Bergman, Ronen, et al. "Behind the Dismantling of Hezbollah: Decades of Israeli Intelligence." The New York Times, 29 December 2024.
- Gebeily, Maya, James Pearson and David Gauthier-Villars. "Exclusive: How Israel's Bulky Pager Fooled Hezbollah." Reuters, 16 October 2024.
- Islamabad Policy Research Institute. "A Breach of International Law: The Legal Consequences of Israel's Use of Explosive Pagers." Policy Brief no. 8, October 2024.

- Lieber Institute, West Point. "'Well, It Depends': The Explosive Pagers Attack Revisited." 11 March 2025.
- Office of the UN High Commissioner for Human Rights. "UN Experts Condemn Exploding Pagers as Terrifying Violations of International Law." Geneva, 19 September 2024.
- Ravid, Barak. "Israel Conducted Lebanon Pager Attack Fearing Hezbollah Was onto the Operation." Axios, 18 September 2024.
- Reuters. "Netanyahu Approved Pager Attacks against Hezbollah, Spokesman Says." 11 November 2024.
- Stahl, Lesley. "Inside Israel's Plot to Deliver Explosive Pagers to Hezbollah." 60 Minutes, CBS News, 22 December 2024.
- The New Arab. "Netanyahu Admits Ordering Lebanon Pager Attack as Taiwan Denies Involvement." 11 November 2024.
- The Washington Post. "Exploding Pagers Leave Clues to Israeli 'Red Button' Plot, Officials Say." 21 September 2024.
- The Washington Post. "Mossad's Pager Operation: Inside Israel's Penetration of Hezbollah." 5 October 2024.
- The Wall Street Journal. تقرير عن الضربة الوقائية الملغاة، كانون الأول 2023 (عبر Ynet).
- Yedioth Ahronoth. 2025، مقابلة يوآف غالانت (بالعبرية)، (L'Orient Today عبر).
- "Exclusive: Hezbollah Suspicions Forced Israel to Expedite Lebanon Pager Attack." Al-Monitor, 18 September 2024.
- JNS. "Israel Adds Safe Return of Northern Residents to War Goals." 17 September 2024، "Gallant: Northern Border Is Becoming the Main Front of War." 18 September 2024.
- NPR. "Israel-Hezbollah Timeline: 12 Days That Transformed a Bloody Conflict." 29 September 2024.
- Ynet. "Gallant Says 'New Phase in War' as Netanyahu Vows to Return Northern Residents Home." 18 September 2024.